

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ: ٢٦ ابريل ١٩٩٢

مرحلة أمن وسلام أم هيمنة من نوع آخر

مسيرة النظام الدولي الجديد



ريجان وجورباتشوف: بداية التفاهم

عرض: خديجة بنيس

«النظام الدولي الجديد» عبارة تتداولها الامن والاقلام باستمرار وتتضارب الآراء بحدّة حول مفاهيمها، فهناك من يرى انها تعني نشأة عالم يحنوي على كل مقومات الامن والسلام، وهناك من يرى انها تعني انهيار الكتلة الشرقية وفتح الباب على مصراعيه امام الهيمنة الغربية، وهناك من يرى انها الفرصة السانحة للمجتمع الدولي لوضع نسق يضمن حياة افضل لأجيال المستقبل.

ومعلوم انه كلما اتجلى غمام الحرب عن سماء البشر سارع الناس الى البحث عن السبل الكفيلة لتفادي وقوع الكارثة من جديد. فبعد الحرب العالمية الاولى تأسست عصبة الامم، الا ان سلطتها كانت جد محدودة بل ان هياكلها كانت تحمل في طياتها بذور حرب اوسع واشنع. وفعلًا، دارت وهي الحرب العالمية الثانية مسجلة بذلك النهاية الفعلية لعصبة الامم، وما ان انتهت حتى سارعت الدول الكبرى الى تأسيس منظمة الامم المتحدة بلعدها سامية ترمي الى التعايش السلمي بين الكتلتين الشرقية والغربية. وما ان اقبلت الستينات حتى بدأ شبح الحرب يلوح في الافق من جديد، فطبع ذلك العقد بالحرب الباردة بين القوتين العظيمتين ومن يدور في فلكهما. الا ان للذوق المر للحرب العالمية الثانية كان دقما يذكر انشؤلين بعقبة ما قد يكون في حالة اندلاع حرب معلنة. وجاءت التسعينات معقلية جديدة، عقلية الانصراح. وترامن ذلك مع تطور فكرة عدم الانحياز بشكل جلي، خصوصًا بعد مؤتمر القمة للدول الأعضاء الذي عقد بالحرائر في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٣ حيث وجه المؤتمر نداء الى بناء صدام اقتصادي دولي جديد.

الانفتاح الجديد



اشهر معنوية حتى اصبح العالم يرى
عن كذب، ولأول مرة، الوجه الحقيقي
للاتحاد السوفياتي الذي اخذت
مشاكله تزداد حدة يوما بعد يوم،
فتداعت اركانه ومعها اركان الانظمة
التي كانت قائمة في المعسكر الشرقي.
فانقذت نار القومية وظهرت الى الوجود
دول كانت قد اختفت واخرى لم توجد
من قبل ككيان قائم بنفسه اصبحت
حاليا تتمتع بكامل حقوقها كعضو في
منظمة الامم المتحدة. فتعالت الاصوات
من جديد مطالبة بالبحث عن نظام دولي
جديد، وهذا بالضبط هو الموضوع الذي
تناوله بالدرس احمد شرف في كتابه
«مسيرة النظام الدولي الجديد قبل
وبعد حرب الخليج» الذي صدر اخيرا
عن دار الثقافة الجديدة للنشر. وبعد
مقدمة شائعة عن المراحل التي مر بها
المجتمع الدولي عبر القرن العشرين،
وصل الكاتب الى اواخر الثمانينات
وبداية التسعينات، اي الى انهيار
الاتحاد السوفياتي وتفكك الكتلة
الشرقية واندلاع حرب الخليج
ونهايتها.

وفي رأي الكاتب، فسان حرب
الخليج «كشفت جوهر أحداث أوروبا
الشرقية وشرحتها»، وكثيرون هم الذين
اعتقدوا في نهاية الانظمة الشيوعية
وضعت الحجر الاساس لبناء صرح
نظام دولي جديد بمفاهيم جديدة
قوامها التعاون الدولي والتكاتف في
مواجهة الاخطار المحدقة ببني البشر.
الا ان حرب الخليج اوجدت تفسيراً
اخر في عقول الكثيرين ايضا وهو انها
اكثرت انهيار نموذج اجتماعي امام

ويعتبر بعض الملاحظين ان هذه
الخطوة ساهمت بشكل فعال في الحدث
على التفكير في ايجاد نظام دولي
جديد على الصعيد السياسي الا ان
الهوة كانت جدد متسعة بين
ايدولوجيتي الشرق والغرب، وكلما
حاول المجتمع الدولي تبني مشروع
بناء، تقدم به احد الجانبين، هدد
الطرف الاخر باستخدام حق
الاعتراض، فتجمدت كل اليات تطوير
النظام الدولي، واستمر الوضع كذلك
الى ان جاء ميخائيل جورباتشوف الى
كرسي الزعامة في ما كان معروفاً من
قبل بالاتحاد السوفياتي، فدعا هو
والرئيس الامريكى ريجان ومن بعده
بوش ورتيسة الوزراء لبريطانية آنذاك
مارجريت ثاتشر، الى سياسة الانفتاح
والى توحيد دول العالم ازاء الاخطار
التي تهدد البشرية كلها بصرف النظر
عن اختلاف انظمتها السياسية
والاجتماعية والاقتصادية. وقد شهد
العالم مثالا لذلك التضامن الذي
يتجاوز الحدود التي تفرضها
الايدولوجية بعد حادثة تشرنوبيل حين
ارسل المفاعل النووي السوفياتي
سحابة نووية لم تنج من اثارها بعض
المناطق في أوروبا الغربية (اذ ان
ضربوا الحق ببعض المناطق في
سكتلندة). فبات من الضروري قيام
العالم قومة رجل واحد لمواجهة تلك
الخطر الذي لم تستطع الحدود
الجغرافية ولا الجملوك ولا وسائل
الدفاع القومية على الحد من اثاره، ولم
يتوقف المشكل الا بعد ان وضع الناس
اليدين في اليد تاركين جنبا الخلافات
السياسية والايدولوجية. وما هي الا

أما باقي السكان فهم أبناء العالم الثالث الذين كانوا رازحين تحت نير الاستعمار.

الحرب الباردة

ويطبيعة الحال فقد أدت هذه الحقيقة إلى ظهور نظام دولي جديد قائم على الصراع الإيديولوجي بين نظامين سياسيين واجتماعيين واقتصاديين مختلفين، يحاول كل منهما جلب أكبر عدد من الشعوب تحت جناحه، وجاء اختراع السلاح النووي ليضفي صبغة أخرى على هذا النظام، فجرت جنون السياسة وبخل الجميع في سياق محموم حول التسليح، دفع بدوره إلى ظهور الحرب الباردة. وسرعان ما دفع التسارع نحو التسليح النووي إلى إيجاد ثورة تكنولوجية كبرى، فتطورت وسائل الاتصال والمواصلات، وقربت المسافات وأصبح العالم أصغر بكثير مما كان عليه، إذ أصبح التنقل بين قطاره بفأس بالساعات لا بالأشهر والسنوات. وهذا بدوره أوجد نوعاً جديداً من الوعي. فقد أصبح المسؤولون واعين كل الوعي بخسرة التعايش السلمي بل ضرورة التعاون الفعلي. فكثر التنظيمات والتشريعات الدولية وتنامى دور منظمة الأمم المتحدة كمسير لحل المشاكل سلمياً، ومحاولة القوى العظمى التوصل إلى نتائج إيجابية دون اللجوء إلى مواجهات. بيد أن ذلك النظام الذي كان قائماً إلى غاية الثمانينات لم يلبث أن ظهرت فيه علامات التآكل وبدأت المشاكل تتقافه من جراء الأزمات والحروب

آخر. إلا أن الكاتب لا يتفق مع هذه النظرية. فحياة البشر، يقول المؤلف، حياة نابضة بكل معاني الصراع والتناقض، ولا يمكنها أن تتور حول قطب واحد، خاصة إذا كان ذلك القطب قائماً على القوة العسكرية وحدها، أو حتى على القوتين العسكرية والاقتصادية، في عصر يتنامى فيه الوعي الإنساني بالحرية والمساواة. ولإعطاء فكرة عن كيفية ظهور نظام دولي جديد، فقد استشهد الكاتب بما حصل بعد الحرب العالمية الثانية التي شهدت نهايتها فعلاً ظهور نظام عالمي جديد كانت مقوماته بروز النظام الاشتراكي كحقيقة نولية تستند إلى تشكيلة اقتصادية واجتماعية متناقضة مع ما هو معمول به في الدول الرأسمالية. وبالرغم من أن النظام الاشتراكي ظهر في الاتحاد السوفياتي غداة الثورة البلشفية عام ١٩١٧، فإنه لم ينتشر كنظام خارج الاتحاد السوفياتي إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وذكر الكاتب بقوله مستالين الشهيرة في هذا الصدد، إنها (الدولة الاشتراكية) مجرد جزيرة من الاشتراكية في بحر مغلطم من الرأسمالية، فكان الصراع إذاً قائماً بين الدول الرأسمالية التي كانت كل منها على حدة تحاول مد نفوذها الاستعماري وتمديده كما وكيفا. ولكن، بعد انتهاء الحرب وبدلية عهد الاستقلال بالنسبة للمستعمرات، أصبحت الاشتراكية تحكم في ٣٥ في المائة من مجموع سكان العالم مقابل ١٦ في المائة تعمل بالنظام الرأسمالي

مستقبل الأمم المتحدة

وكثيرا ما نسمع في ايامنا هذه الحديث عن الدور قطلانمي للأمم المتحدة (وخصوصا مجلس الأمن الدولي) في اطار النظام العالمي الجديد. الا ان الكاتب يرى بان للنظمة الدولية اصبحت تنهج بمنهج الاوامرية التي تؤمن بالامتنثال ... والا ... ويذكر بان منظمة الأمم المتحدة لم توفق فعلا في معالجة المشاكل التي ليست من اجلها غداة الحرب العالمية الثانية. ناهيك من مواجهة المشاكل التي تستجد في العالم حاليا. وبالتالي فانه ينصح بالتمسك بالأمم المتحدة كصيغة تنظيمية دولية تمثل حدا ادنى يمكن ان يعالج بعض الاوضاع. الا انه من اللوجب اذخال اصلاحات عليها حتى تستجيب للبنى التحقيقية الاجتماعية والسياسية والانسانية والاقتصادية للعالم الراهن. وإلى جانب ما سلف، فقد قام الكاتب بصياغة تصور يعكس رؤية أبناء العالم الثالث للنظام العالمي الجديد المنشود. ويمكن القول ان الكاتب ابدى الى حد بعيد تأكرا بالنسق الاشتراكي، والحديث هنا لا يعني الاشتراكية كما عاشتها شعوب الاتحاد السوفياتي سابقا والدول الشرقية. وانما النسق الاشتراكي المثالي الذي يرمي الى انتهاز سياسة تقريب الهوية الاقتصادية واجتماعيا وثقافيا بين أبناء العالم، والضرب على يد كل من يحاول فرض هيمنته على شعوب الأرض اياً كان مصدره ومهما كان اتجاهه السياسي او الاقتصادي او العقائدي. وقد أفلح الكاتب في تسليط الضوء على عدد هائل من المواضيع والنظريات الى درجة تجعل من كتابه مرجعا علميا (رغم انه لا يخلو من مواقف شخصية في بعض الأحيان) لكل من يرغب في فهم اعمق للمرحلة التي تمر بها حاليا والتي تشهد ميلاد ما قد يصبح نظاما دوليا جديدا.

مسيرة النظام الدولي الجديد
قبل وبعد حرب الخليج
بقلم احمد شرف
الناشر: دار الثقافة الجديدة

الاقليمية ومواقف النظام الدولي من قضايا حقوق الانسان والارهاب ... الخ. فبات السؤال المطروح هو: هل يمر العالم بنظام دولي مريض يلزم ايجاه العلاج اللازم له، أم انه يعيش في عالم تتصدع اركان نظامه وبالتالي يجب تغييره والبحث عن بديل؟ يجيب الكاتب على هذا السؤال بقوله ان التغييرات والسورة التي حدثت بها تلك التغيرات جعلت النسق القديمة امرا تجاوزته الاحداث. فاصبح من الضروري بالتالي البحث عن بديل مع اخذ ما كان يعين الاعتبار لكون التاريخ بنفسه مسار لحدث مرتبطة بعضها ببعض.

الثورة التكنولوجية

ومضى الكاتب قائلا ان مقومات النظام العالمي الجديد تجد جنورها في الثورة العلمية والتكنولوجية التي تعرفها الساحة الدولية منذ بداية السبعينات فنفتحت بمجلة الاتصال والمواصلات قداما وظهرت مفاهيم واساليب الانتاج على جميع الاصعدة، وفي النمو غير المتكافئ بين الدول والمجتمعات وفي الازمة للعامة التي تمسك بكل النظم الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة ويرى بلان اي بناء للنظام الدولي المنشود لا يتعامل مع كل هذه المعطيات ويغيرها سيطر ناقصا ومهددا بالانفجار، سواء على المستوى الفكري او القيمي او التنظيمي.